جائزة المقتطف

مجد الرواد

لانفرد توز

ترجمة شيطان

الدكتور طه حسين والاستاذ العقاد

مختارات من بيرون

لماذا تحبني

للشاعرة مسز براوننغ

قبرة شلي

لتوماس هاردي

مجد الرواد

الفرد نويز Alfred Noyes شاعر انكليزي في الطبقة الاولى بين شعراء انكلترا المعاصرين . استشرف بنظره تاريخ ارتقاء المرقة فاختار من سير روادها الحوادث التي كانت معارك فاصلة بين جيوش النور وجيوش الظلام ونسج من ذلك ملحمة شعرية عظيمة سماها « نحلة المشعل » . وفي ما يلي قطعة اجراها على لسان تيخوبراهي — وهو فلكي دنماركي من علماء القرن السادس عشر قضى ٢١ سنة يرصد الافلاك في مرصد اورانيبرج ثم اضطر ان يغادر بلاده ويلجأ الى رودلف الثاني في براغ وكان جلّ همه ان يعين مواقع الف نجم قبل ان يموت ولكنه لم يعين الا مواقع سبعمائة منها قبل طرده من بلاده — مخاطباً مريديه قبل مبارحته وطنه

ما اقلّ ما اعلم — عملتُ عمل قزمٍ ! ان الرجال الذين سوف يتبعونني
قد يزيدون ، بفنٍّ ادقّ من فنّي ، عشرات الالوف . ولكن مجموعتي تتقدم
من عناء خمس وعشرين سنة ، وتقربهم الى هدفهم ، الى ملك النواميس
الذي لن ارى . اننا على عتبة عصر من المكتشفات العظيمة . فأنا احسّ
كما يحس الحالم ، بالفجر ، قبل ان يفتح عينيه . كثيرون منكم سوف يشاهدون
تلك المكتشفات . وفي ذلك اليوم تذكرون اجتماعنا الاخير في اورا لنبرج
وكيف قلت لكم ان عملنا هذا لا بدّ ان يفضي الى انتصارات العصر المقبل .
قد ينسانا المنتصرون . وماذا يهمنا ذلك ؟ سوف يظفرون بسعف النخل
واهازيج الثناء . اما مجدنا فيجد الآباء في ابنائهم ، غبطتنا غبطة
المانح ، غبطة العامل على صفحة الصخر الصلد طوال الليل ، يحفر
فيه مواقع الاقدام ، ليرتفع عليها من يجيء بعده ، الى الاعالي
فيطيل التحديق في العوالم المكتشفة حديثاً .
عندئذ لا تجدوني على القمة ، فاذا هبطتم ، ابحثوا عني في الظلام
عند سفح الاكمة ، تحت الاوراق المتناثرة . هناك تختبيء نحن
الروّاد ! لان فينا كِبْراً ، وعلى العالم ان يبحث عنا
قبل ان يكتشف قبورنا !

ترجمة شيطان

رأي الدكتور طه حسين في قصيدة الاستاذ العقاد [1]

«... لست اخفي عليكم اني قرأت له قصيدة لن ينقضي اعجابي بها وقد اقرؤها عشرين مرة او ثلاثين والسبب في ذلك اني اجد فيها كلما قرأتها معنى جديداً ، او معاني جديدة. ثم هذه الطرافة المدهشة وتستطيعون ان تبحثوا عن مثلها في الشعر القديم فلن تجدوا لها شبيهاً . هي طويلة ، ولكنها على طولها قصيرة تبلغ مائتي بيت وعشرين

«أما موضوعها فشيطان . اراد العقاد ان يترجم الشيطان ؛ ويظهر ان العقاد سئم ترجمة الناس ، وسئم نقد الناس وما يكتبون وما ينظمون فأبى الا ان يبحث فوفق الى شيطان خلقه خلقاً ومشى معهُ فأبعد في المشي . انهُ خلقهُ في اول القصيدة وصعد معهُ السماء وهبط به الى الجحيم ومن حسن الحظ انهُ قتله في آخر القصيدة . هذا الشيطان غريب ، خلقهُ واذن له كما اذن للشياطين ان يغوي الناس ما استطاع فهبط الى بلاد الزنج ولكنهُ لم يكد يرى هذه البلاد وأهلها حتى ضاق بالارض وسكنها ورأى انهُ ارفع من اغواء الزنوج فأرسل يهم جوطوف الارض وما زال يطوف حتى بلغ بحر الروم او بحر العجم حيث البلاد المتحضرة ، وهناك استطاع ان يخدع الناس فأخرج لهم شيئاً يسمى الحق ، ولكنهُ الاعتداء الفظيع المنكر الذي افسد الحياة الانسانية افساداً ، ثم كلفه ان ينوب عنهُ في فتنة الناس . نظر الى الناس وقد وقعوا جميعاً في شركه وخضعوا لفتنته فاحتقرهم ، وكفر الشيطان بالشر ، ارأيتم شيطاناً يكفر بالشر الا عند العقاد ؟ والطريف ان هذا الشيطان خالف طبيعته وظفر بما لن يظفر به شيطان ، ظفر بالعفو ، واذن الله له في ان يصعد الى الجنة ويعيش بين الملائكة عيشة راضية في مكان لا سبيل الى تصويره في الشعر بأجمل من تصوير العقاد . ولكنهُ شيطان لا يرضيه شيء ولا يقنع بشيء ، وما اسرع ما ضاق بالجنة ورفاقه الملائكة ، حتى خيل الى الذين يرافقونهُ انهم ينظرون الى الجحيم وقد تجسد في وجهه ؛ ثم يوحي الله الى الجنة فاذا هدوء شامل ؟ وسلام كامل ، وأمن وسكينة واذا الشيطان المتمرد قائم أمام جلال الله . أترون انهُ خضع او اضطرب او احس شيئاً مما تحسهُ النفس وهي في مثل هذا الموقف ؟ كلاَّ ، ظلَّ مرفوع الرأس شامخ الأنف متحدياً ، ينكر على الله آياته ، ويتحدى الله ان ينزل به المكروه ، ثم ينزل المكروه به فاذا النار قد استحالت

---

(١) من خطبته في حفلة التكريم التي اقيمت يوم ٢٧ ابريل الماضي ونشر انبا في مقتطف مايو

حجراً . ومع ذلك فطبيعته لم تتغير حتى بعد المسخ بعد ان اصبح حجراً هامداً . طبيعته مفسدة دائماً . أليست تتخذ الصور الجلاَّدة من هذا الصخر؟ هذا الشيطان الذي احياه العقاد وأماتهُ وصوَّر لنا حياته هذا التصوير البديع ، هذا الشيطان اسمحوا لي وليسمح لي العقاد وأنا أعترف بأني متأسف جداً ، هذا الشيطان هو شيطان العقاد وشعره ، وهذه النفس الطامحة التي لا حدَّ لآمالها ، هذه النفس التي لا يرضيها شيء ولا تستريح ولا تطمئن الى شيء ، ولا ترضى الاَّ لتسخط ، ولا تستقر الاَّ لتتحرك حركة لا حدَّ لها حتى اذ خرجت من الحياة وانتهى عهدها بالوجود فان آثارها ما تزال قائمة تعمل في النفوس وتغريها وتبعث فيها الحركة ، وان كان الشيطان قد استحال الى رماد في القبر هذا الشيطان هو سحر صاحب الفن والذي نلحظه في كل أثر من آثار العقاد او الشعراء الثائرين أمثال العقاد (انظر ديوان العقاد ج ٣ ص ٣٣٨)

« أعترف اني عند ما قرأت القصيدة وقرأتها وقرأتها ، فكرت في شعراء آخرين ليسوا عندنا ولا هم بين شعرائنا ولكنهم يعيشون في اوربا ، يعيشون في اوربا القديمة والحديثة ، فكرت في جوت حين يصور ابليس وهو يتحدى خالقهُ ، فكرت في بول فاليري وهو يصور الحية حين أغوت حواء ، وفكرت في ملتون حين يصور الجنة الضائعة . ومع ذلك فهل كان العقاد مقلداً لهؤلاء الشعراء ، هل أخذ عنهم ، أو هل أخذ العقاد عن شعراء العرب القدماء

« كلاَّ أيها السادة ، لم يأخذ العقاد عنهم بل قرأ هؤلاء ، وهو لا يقرأ الاَّ فهم ، ولا يفهم الاَّ دقق وهو بهذه القراءة وبهذا الدرس المتصل الذي لا يعرف العقاد له حداً ، والذي فرضهُ العقاد على نفسه فرضاً ، بهذا الدرس المستمر الطويل قد خلق لنفسه قوة لم يعرفها غيره من شعرائنا ، قوة خاصة خارقة لا يعرفها شعراء العرب لانهم من أقل الناس قراءة في هذا العصر ، خلق العقاد لنفسه قوة شاعرة لا نجد لها نظيراً الاَّ في اوربا حيث يلتمس الشعراء الفن لا في الادب وحده بل في العلم وفي كل شيء آخر . من هذا كله استطاع العقاد ان يكون هذا المارد المتمرد هذا الشيطان الذي لا حدَّ لهُ »

تعليق الشاعر

« ترجمة شيطان » هي احد أثرين من آثاري الادبية انتجتها الحرب العظمى فأما الاول فمنثور وهو رسالة « مجمع الاحياء » وقد كتبتها في اوائل الحرب

وشرحت فيها فلسفة القوة ورجحت عليها جانب الحق وانتهيت منها الى ان الطبيعة توحي الى الاحياء ان تتصارع وان الصراع يمحقها وينشىء بينها ميزات القوي وهو الحق في النهاية

فلما قاربت الحرب العظمى ان تضع اوزارها ولم نرَ لها نتيجة حاضرة ولا متوقعة تكافىء اهوالها واخطارها خامت على النفس غيمة حزن يائس وبدا لي كأن حوادث التاريخ لا تعدو ان تكون اضطراباً متقلباً كاضطراب العناصر الطبيعية التي لا تحفل شيئاً بمقاييس الاخلاق والمثل العليا ، وان الامم العاقلة المتحضرة تثور الى الحرب كما يثور بركان او يثور اعصار ، فلا فرق بين غوص حضارة في اعماق التاريخ الانساني وغوص جزيرة في اعماق الاوقيانوس ، وهذه هي الحالة التي عبرت عنها في « ترجمة شيطان » . وجعلته من اجلها يقول وهو يحتقر ان يفسد الناس لان غاية الصالح والفاسد منهم سواء :

ما له يفسد قوماً عدموا آية الرشد ، وهبهم رشدوا !
وعلام السلب مما غنموا وهمُ لو غنموا لم يُحمدوا

***

كلهم طالب قوت والثرى ذلّ قوم او تعالوا نخب
وقصارى الامر في هذا الورى راسب يطفو وطاف يرسب

ومما يحسن ان اسجله في هذا الصدد ان الجزء الثالث من ديواني كان وشيكاً ان يظهر دون ان تظهر فيه هذه القصيدة ، لان الغيمة اليائسة التي اوحتها اليّ تغيرت شيئاً فشيئاً واصبحتُ انظر الى الحياة واطوار التاريخ بغير تلك النظرة . وانما نُشرتْ مصادفة لانني كنت اتحدث الى بعض الاخوان ومنهم الاستاذ عبد الرحمن صدقي — اثناء طبع الجزء الثالث — عن القصائد التي انوي حذفها ومنها هذه القصيدة . فسألوني عنها وعن موضوعها وأصرّوا اصراراً شديداً على وجوب نشرها ، ثم انتهيت بعد مراجعة نفسي الى أن أضمنها الديوان واقدم لها بتمهيد قلت فيه : « ولما شرعت في طبع الشعر المجتمع لديّ خطر لي ان احذف القصائد التي اشرت اليها لتغير الباعث على نظمها وعدولي عن محور الرأي فيها ، ولكني عدت الى نفسي فقلت : ولماذا احذفها ؟ ان الضرر الذي امنعه بحذفها أقل من الضرر الذي انا عالمه باشرها ، وحسبها انها لم تكن الاّ طوراً طبيعيًّا من اطوار فكرة وفترة معقولة من حياة قلب ، فلم ارتضِ حذفها لاجل ذلك وليعلم الذين تعرض لهم هذه الاطوار انهُ ما من حالة يبلغ اليها الشك واليأس الاّ ومن بعدها للاطمئنان سبيل »

الشيطان امام الله

فاذا الجنة أمن وسكون كسكون الليل في ضوء القمر
خشعت حتى الشوادي في الغصون وصمت حتى وريقات الشجر

ساعة ثم انجلى موقفها عن جلال الله فرداً في علاه
غابت الاملاك لا تعرفها وبدا الشيطان معروفاً تراه

وبدا الشيطان معروفاً ترى كبرياء الكفر في وقفته
طالي الجبهة يأبى القهقرى وتوجُّ النار من نظرته

وتنحّى كلُّ مشهود فما ثمَّ الاَّ الله والطاغي المريد
ويكاد الكون ما بينهما يغلب الشك عليه فيبيد

ساعةٌ اخرى وقد حُمَّ القضاء وانقضى العفو وحق الغضبُ
ساعة النحس حلَّت والبلاء ومتى حلت فأين المهربُ ؟

حاقت اللعنة حاقت كلها وقضاها المنعم المنتقم
وجناها وهو لا يجهلها ذلك الجاني الذي لا يندم

***

هاتف في الخلد لما هتفا نفذ السهم فمن ذا الهاتف
أهو الرحمن ؟ لا وا أسفا بل هو الروح العصيّ العاصف

هو روح بمحمد الله وما أعجب الحاسد لله الصمد
كلما أبصره محتكما أصغر الكون وازرى بالأبد

هو ناع سمجت في عينه نعمُ الله فأمسى يجتويها
حبة يزرعها في كونه تلكم النعمى فأين الجود فيها ؟

هو طاغ يأنف العفو الى سائل يسأله عما جنى
يحسب العفو عقاباً قد غلا كيف لو أعذر او لو أذعنا ؟

فرمى بالهُجر لا يحفله حيث لا يبدأ خلق بالكلام
ويجدُّ القول او يهزله ولعينيه ومبض وابتسام

مختارات من بيرون

﴿ البحر ﴾ ختم لورد بيرون « تشيلد هارولد » — وهو عنوان قصيدة من ابلغ قصائده الطويلة — بما تواضع النقّاد على تسميته « نشيد البحر » . ففي الدور الاول من هذا النشيد يتجلى نفوره من الاجتماع واستئناسهُ بالوحدة والانفراد «لا لانهُ يبغض الانسان بل لان حبهُ للطبيعة اشدّ » ثم تمرُّ في مخيلته صور الدول التي نشأت وذالت وما تعاقب على العمران من آيات التغير والانقلاب فخاطب البحر قائلاً

« والعالم في تغيُّر مستمرّ الاّ ك يا بحر ! لا يقدر الزمن ان يخطَّ على جبهتك الزرقاء اسارير الهرم ولا ان يرسم على محيّاك آثار الضعف والشيخوخة » . ثم « ايتها المرآة الصقيلة التي نرى فيها صورة الخالق في كل زمان ، سواءٌ اكنت ساكناً او كنت ثائراً ، في النسيم العليل او في العاصفة المجتاحة ، حول القطب ثلجاً وجليداً او عند خط الاستواء خضمًّا زاخراً عظيماً »

﴿ مشهد طبيعي ﴾ « هذه هي الساعة حين تسمع من الاغصان نغمات العندليب الشجية . هذه هي الساعة حينما تبدو عهود المحبين حلوة في كل كلة يهمسونها . والنسيم العليل ، والماء الصافي يطربان الاذن بموسيقاهما . الندى رطّب كل زهرة وفي الفضاء انبثقت الزُهَر . وقد زاد ازرقاق البحر . وقد تمّ لون الاوراق . وفي السماء ذلك الابهام الواضح الذي يعقب انحدال النهار . والشفق اخذ يذوب امام القمر ... »

﴿ الجبل الابيض ﴾ « الجبل الابيض ملك الجبال . توّجتهُ (يتكلم الشاعر بلسان روح المكان) عليها من زمن بعيد . على عرش الصخور في حُلَل الغيوم . التاج من الثلج . وحول وسطهِ الحراج . وفي يده حرف الثلج المنهارة . لكن قبل ان ينهار الجرف قاصفاً كالرعد يجب ان يلبث هنيهة ليتلقى الاوامر مني . والنهر الجليدي البارد الذي لا استقرار لهُ ، يتقدم يوماً فيوماً . لكن أنا الذي آذن لهُ في المسير او في البقاء مع سائر الجليد . انا روح المكان . اخضع الجبل لي او ازعزع اركانهُ ... »

﴿ تشاؤم ﴾ وأ اسفاه ! ما الحياة الاّ حلم لا يوقظنا منهُ غير الموت . وما عدا ذلك اوهام تتغير بتغيرنا . كلٌّ منها يخدعنا بدوره . حتى يبدل الموت ستاره فنرى الحقيقة الرهيبة . اليس من الغريب انهُ كلما ازداد شعورنا بأن الحياة عبء ، ازداد تعلّقنا

باهدابها ، بكل ما تملك من قوة ! هذا دليل آخر على ما فينا من طبيعة الحيوان . لانهُ لو كان الروح العالي الذي ننحهُ فينا الخالق ، متسلطاً على الطبيعة الحيوانية ، لكنَّا نسرُّ بطرح العبءِ الذي يثقلنا وننفرُ منهُ ، باحثين عن وجود آخر يتغلب فيهِ النور على الظلام . مَنْ بلغ الخامسة والثلاثين ولم يشعر بالسأم يسمُّ الجذل اليسير الذي يكون نصيبهُ في بعض الاحيان . تبدأ الحياة برجاءِ الحصول على السعادة ثم يكشف لنا ان ذلك محال ، فنطلب الملذات،ولكن حتى الملذات تتسلل من قبضتنا،فننتهي الى التوق الى الراحة ، ولا ننال الراحة الاَّ بالموت »

﴿ رجاء ﴾ «ايها الالم .. انت تلين الانسان كما يلين اللهيب الحديد .. فمن لم يعرفك ايها المعلم ، لم يعرف من الحياة الاَّ اسمها الاجوف . بل هو يطفو على وجهِ الحياة كما لو كان طافياً على غيمة من غيوم الصيف ، ليس لهُ أثر يتركهُ وراءه ... لا قطرة عرقٍ من جبينهِ . ولا دمعة تذرف من عينيهِ . وقدمهُ لم تدمِها الحجارة المبثوثة في طريقك .. »

لماذا تحبني

للشاعرة مسز برونغ زوجة الشاعر روبرت برونغ

اذا كان لك ان تحبني ، فليكن لاجل الحب فقط .
لا تقُلْ انا احبُّها لبسمتها ، لنظرتها ، لحديثها اللطيف
للفتةٍ في فكرها تتسق مع فكري وتنشىء شعوراً
بالراحة والطمأنينة كل يوم من ايام الحياة.
لان هذه الاشياء بحد ذاتها ، يا حبيبي ، قد تتغير
او قد تتغير في نظرك ، والحب الذي نُسج منها
ينحلُّ كما نُسج . ولا تحبني لما تشعر بهِ من الاشفاق
اذ تمسح الدموع على خديَّ . فقد ينسى الكائن الذي
تطول نعماه في عطفك ، ان يبكي ، فيفقد حبك كذلك .
ولكن احبني للحب ، لكي يمضي حبنا ، حيًّا الى الازل

قبرة شلي

لتوماس هاردي

نظمت على مقربة من ليجهورن — حيث نظم شلي قصيدته في القبرة

هنا في مكان ما ، من هذه المرجة ، يرقد في حمى الارض الفسّاحة
لمهدها العمياء عن وثبها ، شيءٌ بعث النبوءة في روح شاعر .
انهُ حفنة من تراب تجاوزتها العيون وأهملها الناس

هو التراب — تراب القبّرة التي سمعها شلي
وبعثها روحاً خالداً في ثنايا الزمان ، مع انها عاشت كسكل طائر
غيرها ولم يدر بخلدها معنى خلودها ! !

لقد نعمت بحياة هانئة وديعة ثم هوت يوماً ما كومة من الريش
والعظام . . لا يُعرف كيف ماتت . . ولا متى غنّت اغنية الوداع . .
ولا ايّان جلل الفناء عناصر حياتها ! !

ومن يدري ! ربما تستقر هذه الروح في سعيد هذه الخضرة التي
تضطرب في مسارح عيني ! او ربما تحفق في خضرة آسة متزاهرة !
او تغفو في صبغة عنبة على منحدرات هذه الارباض

فاسلي يا بنات عبقر . . . انسلي وابحثي عنها . . .
عن هذه الحفنة الصغيرة من التراب الذي لا يقوّم بمال
وهاتي حُقّةً مبطنةً بالفضّة مغلّفة بالذهب مرصعة بالجواهر !

ولنضجعها فيها بسلام مقدسة على الزمن ، جزاء
ما اوحت به الى شاعر ، فسما الى عليا طبقات
الافتتان والسحر في سماء الفكر والالحان ! !

[ترجمة م . ع . المشرق]